أرجوك ... كن كأبي!

ــ الدكتورة حنين فياض .

ــ نعم ، أنا هي .

ــ المدير الأستاذ حسين شاكر يرغب في مقابلتك ... على وجه السرعة .

ــ حسنا ، أخبره أنني سآتي حالا .

(طرقت على باب المدير ، ودخلت ، فألفيت طبيبا شابا جالسا معه)

ــ السلام عليكم يا أستاذ شوكت .

ــ أهلا وسهلا يا دكتورة حنين . (ينظر إلى الطبيب الشاب)

ــ أعرفك بالدكتورة حنين فياض ، طبيبة أطفال ، تم تعيينها مؤخرا .

ثم ينظر الأستاذ شوكت إليّ:

ــ وهذا الدكتور فارس كمال ، رئيس قسم الجراحة في المستشفى .

يومئ كل منا إلى الآخر علامة الترحيب ، ويردف الأستاذ شوكت :

ــ دكتورة حنان ، قد مضى أسبوعان كاملان على وجودك معنا .

أكتفي بإيماءة خفيفة ، فيردف الأستاذ شوكت وهو يتطلع في بعض الأوراق المبعثرة على مكتبه:

ــ غير أنني لا أكاد ألحظ هنا أي أدوية تم صرفها للمرضى باستشارة منك ، أو حتى أي طلب بالتحويل لقسم آخر .

ــ (في ثقة) ذلك لأنه لم يكن هناك أي حالة تستدعي ذلك يا سيدي . كل الحالات كانت استشارات عادية ، وبعضها احتاج كشفا فقمت به في حينها ، وهذا كل ما هنالك .

ــ (ضرب بقضبته على المكتب) دكتورة حنين ، إن المستشفى بطريقتك هذه لن تدر أي ربح !

ــ (وقد أثارت عبارته غيظي) اسمح لي يا أستاذ شاكر ، ولكن هذا الأمر لا يعنيني ، فكما تعلم أنا طبيبة ولست سيدة أعمال . ومن هذا المنطلق فأنا أحرص على تأدية عملي كما يمليه علي ضميري .

ــ (وقد استفزه كلامي) نحن لسنا في مؤسسة خيرية يا دكتورة ، ويجب علينا جني أرباح معينة حتى يمكننا ... .

ــ (مقاطعة في تلقائية) جني أرباح! أحقا؟! ظننت أن المستشفيات تُبنى لعلاج الناس!

(تفلت من الطبيب فارس ابتسامة)

ــ (متجاهلا تعليقي) اسمعي يا دكتورة ، يجب عليك أن تلتزمي بقوانين وقواعد المستشفى .

ــ (منفعلة) ولكني لم أخالفها قط!

ــ بل فعلتِ ! (بنفاد صبر) يا إلهي ألهمني صبرا من عندك ! (يلتفت للطبيب فارس) قل شيئا أيها الطبيب!

ــ (وقد باغته بطلبه) في الواقع ، أنا أؤيد ...

وقد خشي مما كان الدكتور فارس على وشك قوله ، فقاطعه موجها الكلام إلي :

ــ اسمعيني يا دكتورة ، يجب عليك أن تصرفي دواء لكل مريض يأتي إليك . وإن لم تسمح الحالة "مطلقا" ، حوليه لقسم آخر .

ــ (في تحد واضح) وإن لم تستدع الحالة التحويل؟!

ــ (وقد انفجر بالعبارة كالقنبلة) اجعليها كذلك ، فهذا دورك .

ــ (وقد أدركت أنني وصلت إلى نقطة اللاعودة) وإن لم أفعل ؟

ــ (في حزم وقطعية) اعتبري اليوم هو آخر يوم عمل لك!

ــ (يتدخل الطبيب فارس) ولكن يا أستاذ شوكت ...

ـــ رجاء ، لا تتدخل يا دكتور ، هذا أمر إداري لا علاقة لك به .

ـــ (ينظر إلي في عدم اكتراث) يمكنك الانصراف الآن يا دكتورة .

وفعلا انصرفت كما أمرني الأستاذ شوكت ، ولكن بشكل نهائي . وعزمت على عدم العودة إلى تلك المستشفى ما حييت ، وإن خلا العالم من المستشفيات ولم يبق إلَّاها . وكان ما عزمت!

****

مضت ستة أشهر منذ أن غادرت مستشفى "الشفاء" . كان من المفترض أن يسموها مستشفى الاستثمار ، أحمد الله أن أخرجني منها . صحيح أن مستشفى "الشروق" التي أعمل فيها حاليا ، ليست أفضل حالا . بيد أنهم لم يجبروني على إجراء يخالف ضميري الأخلاقي أوالمهني ... حتى اللحظة . وبينما كانت تدور تلك الخواطر في ذهني ، طفقت أتجول بين الأقسام المختلفة .

ـــ الدكتورة حنين!

ألتفت ورائي لأجده ... هو ... الدكتور فارس.

ـــ الدكتور فارس ، ما هذه المصادفة ... (سكت وقد عجزت عن اختيار الكلمة المناسبة ، فلم أكن أتوقع أبدأ رؤيته هنا)

ـــ (مبتسما) غير المتوقعة !

ـــ (علت وجهي ابتسامة وقد بدأت أستوعب الموقف شيئا ما) بالضبط!

ـــ في الحقيقة ، غادرت "الشفاء" في نفس اليوم الذي غادرتِ فيه . الفرق الوحيد هو أنني لم أُمنح خيار البقاء أو الرحيل كما حدث معك .

ـــ (غير مصدقة) هل فُصلتَ إذا ؟

ـــ (يومئ برأسه) لم آسف لهذا الأمر كثيرا ، بقدر ما أسفت لعدم مغادرتي سابقا . فالوضع في المشفى كان لا يحتمل البتة .

ـــ (في حيرة) هل أفهم من كلامك أن ما جرى معي كان سببا في فصلك ؟

ـــ بطريقة غير مباشرة ... نعم .

ـــ (في اهتمام واضح) وكيف ذلك؟

ـــ وافقتك الرأي في كل ما قلته يومها للأستاذ شاكر . فلطالما أثارت هذه الإجراءات حفيظتي ، وكثيرا ما صرحت بضيقي من تلك الأساليب الملتوية . بل إنني طالبت في غير مرة تعديل هذه القوانين ولكن دون جدوى . وصار الرد الذي ألقاه غالبا هو: "وما يضيرك أنت ؟! إنك لست مطالبا بالقيام بهذه الإجراءات . اهتم فحسب برئاسة القسم المنوط بك" . وربما كان الفارق بين حالي وحالك ، هو أنني لم يسبق وتعرضت لموقف مماثل للذي تعرضتِّ له ، من الإجبار على اتخاذ إجراء معين يخالف الضمير المهني . وربما يرجع ذلك لكوني رئيس قسم منذ عشر سنوات خلت ، أي منذ كنت في الخامسة والعشرين . من جهة أخرى فإن الأمر قد بات عاديا ، أو على الأقل "مقبولا" لكثير من الأطباء ، حتى جئت أنت!

ـــ أتقصد أنني كنت أول من يعارض هذه الإجراءات؟

ـــ نعم .

ـــ معقول! هذا أمر يدعو للعجب!

ـــ (مصححا) بل إنه مثير للرِّثاء . على أي حال ، ذهبت إلى المدير ذلك اليوم في محاولة جديدة مني لتعديل الأوضاع . وكان موقفك القشة التي قسمت ظهر البعير . فبعد أن غادرت مباشرة ، احتدم الموقف بيننا وكان أن فُصلت في النهاية .

ـــ (في حيرة) أنا فعلا لا أدري أأعتذر منك أو أهنئك ؟!

ـــ (يبتسم في انشراح) أعتقد أن التهنئة ستكون أفضل لكلينا ، خاصة بعد حصولنا على "نفس" العمل الجديد .

ـــ (مبتسمة) صحيح .

ـــ (ينظر في ساعته) اسمحي لي يا دكتورة ، فمناوبتي تبدأ خلال دقائق .

ـــ بالطبع ، تفضل .

(يسير اتجاه مكتبه ، فأسرع بندائه وكأنني تذكرت شيئا)

ـــ دكتور فارس .

ـــ نعم .

ـــ أشكرك على موقفك النبيل .

ـــ (يبتسم في حبور) على الرحب والسعة ولا شكر على واجب .

****

أتاح لي العمل مع فارس التعرف عليه أكثر ، فاكتشفت كم هو إنسان رائع ومتواضع ونبيل . كان يعامل باقي الأطباء بمنتهى الأدب والرقي . وهذا على عكس معظم رؤساء الأقسام الآخرين الذين كانت تغلب عليهم طباع العجرفة والتعنت . حتى أنه كان لبقا في تصحيحه لأخطاء الأطباء خاصة كبار السن منهم ، لعلمه برهافة حسهم سيما وأنه طبيب شاب . أذكر أنني صادفت مرة خطأً طبيا في أحد التقارير لواحد من الأطباء القدامى الكبار في السن ، فاستحييت مناقشة الأمر معه لكوني طبيبة شابة ومستجدة على المستشفى . فكان أن عرضت الأمر على رئيس قسمهم وهو فارس ، فأبهرني بالحل الذي اقترحه :

ـــ ما رأيك أن نتبع طريقة الحسن والحسين رضي الله عنهما ؟

وكان ما اقترح ، واكتشف الطبيب خطأه بنفسه وقام بتصحيحه . هذا ناهيك عن مواقفه العجيبة مع المرضى ، وبالتحديد مع الذين يمكثون في المستشفى لفترات طويلة . فكان يخصص جلسة أسبوعية مع مع كل مريض من هؤلاء ، يتحدث معه فيها ويدعو له بالشفاء ، بل ويسأله عن أحلامه وطموحاته التي يسعى لتحقيقه متى ما خرج من المشفى . كما كان له لفتة لطيفة ومميزة ، فقد اتفق مع بقية رؤساء الأقسام من الأطباء على جمع مبلغ بسيط من المال ، للاحتفال بأيام ميلاد المرضى من باب إدخال السرور على قلب المسلم . كان فارس طبيبا فريدا من نوعه ومحبوبا ، ويؤمن بأن لكل إنسانا دورا في الحياة لا يستطيعه ولا يقدر عليه غيره . لذا ، أضحى دائم الحرص على تأدية واجبه بمنتهى التفاني والإخلاص .

وحرصت أنا بدوري على أن أتعلم منه ولكن عن بعد ، فكنت أكتفي بملاحظاته اليومية التي يقولها لي شفاهة أو يرسلها على البريد الإلكتروني . ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد ... لحسن الحظ!

****

كنت قد أنهيت مناوبتي ، فعدت إلى مكتبي لأراجع تقارير اليوم قبل تسليمها ، فإذا بي أجد ملفا باسم الطبيب فارس كمال ، ومكتوب عليه "للمراجعة" . وعجبت لذلك فلم تكن العادة أن يراجع الأطباء ملفات رؤساء الأقسام! وما إن فتحته وقرأت ما فيه حتى احمرت وجنتي ، فقد كان في الملف ورقة مكتوب فيها :

هل تقبلين الزواج بي يا حنين؟

الطبيب الذي يحدوه الأمل ،

فارس كمال

****

وفي المساء ، خلوت بأختي حنان ، التي تكبرني بعام ، وحكيت لها ما جرى ، فما كان منها إلا أن أخذت تقفز في حبور:

ــ ياللرومانسية! يبدو أنه شاب رقيق وحيي ، وإلا كان حدثك مباشرة! (تستعيد ربطة جأشها) وماذا فعلت بعد أن قرأتها ؟!

ــ ربما لو هدأت قليلا ، حكيت لك ما جرى!

ــ (تجلس أخيرا على أحد المقاعد ، وتنظر إلي باهتمام) كلي آذان صاغية يا أختي الصغيرة!

ــ أسرعت بالمغادرة طبعا ، فقد خشيت أن ألقاه ، فأتلعثم ولا أدري ما أقول!

ــ (مترقبة) وماذا ستقولين له غدا إذا ؟

ــ أخبريني أنت أولا عن رأيك ، فقد حدثتك عنه كثيرا .

ــ أراه أنه يستحق فرصة يا حنين ، فهو شاب محترم وراقي . كما أن الطريقة التي عرض بها الزواج رومانسية ورقيقة جدا !

ــ يا إلهي ، ألن تكفي عن التعليق على الطريقة ؟!

ــ أكف؟! بل إنني سأخبر محمودا حتى يتعلم منه .

ــ (ممازحة) لا أنصحك بذلك ، فربما يحرص على تطبيقها ويتقدم لأخرى!

ــ (ضاحكة) لا أعتقد ذلك ، فقد جعلته يندم على الزواج!

ــ يا للمسكين! بالمناسبة ، كيف عرض محمود عليك الزواج ؟

ــ (في خيبة أمل) ومن قال إنه فعل ؟ لقد أرسل لي أخته هالة تسألني .

ــ (تقلدها) يبدو أنه شاب رقيق وحيي ، وإلا كان حدثك مباشرة!

نضحك أنا وحنان معا!

****

ــ دكتورة حنين ، أهلا بك !

ــ الدكتور فارس! أهلا ومرحبا!

ــ (في تردد واضح) جئت لتسلم تقرير الأمس الذي...

يسكت قليلا وقد بدت نظراته وكأنه يطلب النجدة ، فأنقذته بسؤالي :

ــ أجئت لتتسلم التقرير أم نتائجه ؟

ــ (أجاب مبتسما وقد فهم ما أرمي إليه) بل نتائجه .

حينها احمر وجهي احمرارا شديدا ، وابتسمت ابتسامة خجولة ، وأطرقت في حياء ، فسألني :

ـــ ترى هل النتائج إيجابية أم سلبية ؟

ـــ (أجبت في نبرة تكاد تكون همسا) لم يسبق لأحد أن عرض على الزواج بهذه الطريقة ... الفريدة! (واكتفيت بهذه العبارة ، فلم أر حاجة لكلمات أخرى) . فاستغل هو الموقف وأردف:

ـــ أأعتبر هذا إذا بادرة موافقة؟!

واكتفيت بأن أومأت برأسي ... واكتفى هو!

****

ـــ ما رأيكِ يا حنين أن نشتري هذه الكعكة لحفل خطبتنا ؟

ـــ إنها رائعة يا فارس ، موافقة طبعا!

ـــ على بركة الله إذن .

ـــ سنشتري واحدة فحسب ؟!

ـــ أعتقد أنها تكفي فنحن ستة أفراد: أنا وأنت وحنان وأبي وأمي وعمك .

ألتفت إلى أختي حنان :

ـــ ماذا ترين يا حنان ؟

ـــ أرى أن فارسا محق ، واحدة تكفي .

في استسلام أردفتُ:

ـــ إذن نحضر معه طبقا من الحلوى .

ـــ (وكأنه يحسم الموقف) فلنكتف بهذا القدر ، أكثر من ذلك يكون إسرافا .

وهنا سكتُّ ومضينا في طريقنا ، ومضيت معهم ... عابسة .

(سطر أضيف فيه وجه الاختلاف بين تفكير الأب وفارس)

ــ (وقد ألفاني عابسة) أكل هذا لأننا لم نشتر إلا كعكة واحدة ؟!

ــ بل لأنك وصفت شراءنا لثانية إسرافا . كان أبي يراه كرما ، وتسميه أنت إسرافا !

ــ نعم هو إسراف ، فهذه الكعكة كبيرة كفاية ، بل إنا تكفينا وتزيد .

ــ (محتجة) اشترى أبي لأمي يوم خطبتهما ثلاثة أصناف مختلفة من الحلوى ، كونها مناسبة تحدث لمرة واحدة في العمر !

ــ (محاولا اختيار عباراته) أرى أنها وإن تكن ليلة فالعمر ، فالإسراف إسراف ، طالما أنه يفيض عن الحاجة . والتصدق به في هذه الحال أولى ، وكذلك مراعاة الشراء على قدر الحاجة بادئ ذي بدء .

مع أن كان كلام فارس بدا منطقيا ، لكنه لم يحظ بقبول في نفسي ، خاصة حين أقارنه بمسلك أبي وفهمه للكرم . لذا ، اكتفيت بإيماءة خفيفة وابتسامة باهتة .

****

ــ أرجوك لا تعودي لتلك المقارنات الجوفاء يا حنين . يكفينا ما أضعت من الفرص جراء معاييرك ومقارناتك غير السوية تلك . وثقي بي حين أقول لك بأن فارس شاب رائع ومميز ومختلف عن باقي من عرضوا عليك الزواج ، و ... .

ــ (مقاطعة) ولكنه لا يفتأ يتعارض مع ما اعتدته من طبع أبي وآرائه يا حنان .

ــ (تهز رأسها نافية) بل ما أراه أنا يا حنين بعد ما شهدته من مواقف ، هو أنك أنت من تزج بأبي في كل صغيرة وكبيرة بينك وبين أي شاب يتقدم للزواج . وتعقدين مقارنات لا طائل من ورائها ، فأبي لن يكون كأي شاب ، والأهم أن أي شاب لن يكون أبدا كأبي!

ــ وهذا هو لب المشكلة يا حنان!

ــ ماذا تقصدين ؟

ــ أنا أرغب أن أتزوج من شاب يكون ... كأبي . وبما أننا في سياق الحديث عن فارس ، فأنا أريد منه أن يكون مثل أبي .

ـ (مستنكرة) ولكن هذا مستحيل يا حنين . بالإضافة إلى كونه طلبا في غير محله ، فلكل إنسان شخصيته المتفردة وكما أن لأبي مميزات رائعة ، فلفارس كذلك .

ـ صحيح ، ولكنها لا تطابق مميزات أبي يا حنان .

ـ وليس من المفترض أن تطابقها!

ـ ولكن ...

ـ يا حبيبتي ... إن هذا هو الوضع الطبيعي ، فقد خلقنا الله مختلفين في مميزاتنا وعيوبنا وطباعنا . وأنا يا حنين أحب أبي كحبك له ، وقد لاحظت شدة تعلقك به مذ كنا صغارا . غير أنني بت ألحظ مؤخرا أنك ترفعين أبي في أحايين كثيرة إلى مصاف الملائكة ! ففي نظرك، كل الرجال يخطئون إلا أبانا ! فكنت كثيرا ما تبررين أخطاءه ، وتنقبين فيها بحثا عن المميزات بالقوة! فمثلا ، "موقف الكعكة" الذي كنتُ حاضرة فيه ، لاحظت أنك أشدت فيه بأبي . وبكل صراحة أنا لم أكن أبدا أؤيد أبي في هذا "الكرم" على حد تعبيرك ، بل كنت أراه كما يراه فارس تماما : إسرافا في غير محله! لاسيما وأن الأمر تعدى الكعك والحلوى مع أبي . فقد كان والدنا يغدق علينا من الأطعمة والهدايا والملابس ، ما يفيض على حاجتنا في أحيان كثيرة . بيد أن كان يرى هذا من الواجب والكرم والتوسعة على الأهل . ولكن هذا لا يعني يا أختي أن فارسا بخيل ، وإنما هو كريم بدرجة تختلف عن درجة كرم أبي ، وفي كل خير . وكما قال تعالى : "لينفق ذو سعة من سعته"[1].

فالحقيقة يا حنين التي تأبين أنت إلا إغفالها هو أن أبي مهما كان رائعا ، فهو في نهاية المطاف بشر ، والبشر يخطئون ويصيبون . (تستكمل وقد بدت أكثر حزما وجدية) استمعي إلى يا أخيتي ، يجب عليك أن تتخلصي من هذا الوهم الذي تحول إلى هاجس . فليس هناك رجل كأبي بكل صفاته المحببة والإيجابية . ولكن هذا لا ينفي بحال وجود رجال رائعين بصورة مخالفة للصورة التي اعتدتيها من أبينا . أرجوك يا حنين ، حاولي أن تتخطي هذا الشعور لئلا تظلمي فارس ونفسك . لقد ضيعتِ الكثير من الفرص بسبب هذا التفكير الحالم العصي على التحقيق!

ـ (في حيرة) ألم يسبق أن عقدت مقارنات بين أبي وزوجك محمود ؟!

---

[1] سورة الطلاق : (الآية: 7)

ــ (تطرق لثوانٍ) بكل صراحة ، نعم حدث وعقدت عدة مقارنات في السابق . إلا أن الأمر لم يعدُ أبدا كونه خاطرا عابرا ، وكنت سرعان ما أطرده لعلمي بعدم جدواه . وهكذا ، لم يتحول الأمر لهاجس أبدا كما هو الحال معك يا حنين .

انتهى الحوار بيننا ، وغادرت حنان إلى بيت زوجها ، وشرد بي أنا الفكر . فحينًا أفكر في كلام حنان وأقتنع به ، وأعتزم تنفيذه في أول لقاء لي مع فارس . ولكني لا ألبث أن أركن لفكري القديم وإيماني العميق بروعة أبي ، ورغبتي المستميتة في أن يكون فارس مثله ... مثل أبي! وعدت أجتر الذكريات كعادتي ...

****

إن حنان محقة ، فقد كنت شديدة التعلق بأبي ومازلت. توفي وأنا في العشرين من العمر ، عشر سنوات مضت ولكأنه رحل بالأمس القريب . كان كل شيء بالنسبة لي: كان أخي وحبيبي وصديقي ورفيقي وناصحي ومعلمي وموجهي ، وفوق كل هذا ... أبي . وعند وفاته ، شعرت أنه رحل ...وأخذ قلبي معه!

آه لو يعلم فارس كيف اهتم بنا أبي واحتوانا بعد رحيل أمي ! توفيت أمي عقب ولادتي بقليل جراء مرض أصيبت به ، فعكف أبي على رعايتنا أنا وحنان . غدا شديد القرب منا وشديد الحرص علينا . كان والدي يعمل طبيبا ، فكان يذهب إلى المستشفى صباحا بعد أن يوصلنا إلى المدرسة . وفي الطريق ، كان يقرأ علينا الأذكار والأدعية والأوراد لنحفظها معا . وعندما يرجع من عمله ونتغدى معا ، ننصرف أنا وأختي للدرس والمذاكرة ، ويرتاح هو قليلا . ثم يساعدنا قبيل المغرب في أي درس أو مادة استشكلت علينا . وفي المساء ، كان يأخذنا لإحدى المكتبات الموجودة في مدينتنا ، وما أكثرها . فكنا نمضي الساعات الطوال نتطلع إلى الأرفف في حماس ولهفة . ونعود في كل ليلة محملين بما "لذ وطاب" من الكتب والمجلات .

حتى في خضم عمله ، بتنا جزءا لا يتجزأ من حياته . فقد حدث مرة أن ضربتنا إحدى المعلمات ظلما ، فاتجهنا إلى الإدارة فترة الاستراحة واتصلنا بأبي في عمله . فاستأذن من مديره ساعة . يومها ، تحدث أبي مع المدرسة بمنتهى الحزم . وأذكر أن إحدى العبارات التي قالها لها كانت : "الإنسان ذكرى يا أستاذتنا الفاضلة ، وخاصة إن كان مدرسا . فهو يغمسي ذكرى في قلوب طلبته مدى الحياة ، لهذا احرصي على أن تتركي في نفوس طلبتك ذكرى طيبة! "

كان لأبي دور حتى في حجابنا ، فقبيل بلوغنا أنا وحنان سن الحجاب ، جمعنا أبي وأخذ يحدثنا عن فضله وأفضاله . صحيح أنه لم يجبرنا على ارتدائه ، فوقع كلامه الرقيق الموزون موقعا حسنًا في قلوبنا ، وكان أن تحول إلى فعل بعد أيام! كما حرص أبي دائما على غرس المعاني الإسلامية والإنسانية الراقية . وكان مضرب المثل بطيب قلبه وخلقه الحسن سواء في نطاق عمله أو بين أفراد أسرتنا .

من الأمور التي لا أفتأ أذكرها وأشتاق إليها هي "أحاديث الغداء" كما اعتدنا أن نسميها أنا وحنان . فكان أبي يستغل وقت تحضير الغداء ليتحدث معنا وإلينا ، فغدت تلك الأوقات من أمتع ما قضينا مع أبي على الإطلاق . ولم تكن تلك الأحاديث مخصصة لموضوع محدد أو هدف معين . فكنا تارة نتحدث عن يومنا المدرسي ، وتارة أخرى يروي لنا قصة من قصص الصحابة أو التاريخ . وأحيانا أخرى كان يتحفنا بقصصه أيام كان طالبا في الثانوية . فلم يكن أبي من ذلك النوع المحب للمغامرات والاستكشافات ، كما هي عادة الشباب في ذلك السن . بل كان وقورا وهادئا ، وكان عاشقا للأدب منذ صغره . أواه يا أبت ، فالذكريات لا تنتهي والذي فُقد هيهات أن يعود!

تعلقت بأبي أكثر من حنان بكثير ، وكبرت لأجد نفسي ظله الذي لا يفارقه ، فكنت أتوق لصحبته والجلوس معه . وأضحى أبي سببا في شغفي بالقراءة والأدب . أما الإشكال الوحيد الذي نتج عن تعلقي به فهو "هاجس المقارنة". فلم ألبث أن بدأت بعد وفاته بمقارنة أي شاب يعرض علي الزواج بأبي . فألفيت نفسي أكتب قوائم لا نهاية لها من الصفات والمعايير التي أرغب بها في شريك الحياة . ولكم أن تتخيلوا أن أحدا لم تنطبق عليه هذه الصفات ! قد علمت أن أحدا لن يكون كأبي ، بيد أنني أبيت التخلي عن شروطي التي لم تجد من يوافقها! فكل الخصال التي غدت محببة إلى قلبي كانت خصال أبي . وكل الطبائع التي نفرت منها نفسي ، أبغضها أبي يوما . معاني الرجولة كلها تمثلت فيه ، فبت أحب ما يحب ، وأبغض ما يبغض ، دون أي تفكير أو تردد . وبات من الصعب علي أن أتجاو ز هذه المرحلة : مرحلة تعلقي بأبي ورؤيته المثل الأعلى ، وما تلاها من مرحلة المقارنات ! ترى هل سأستطيع أن أتغلب على هذا الهاجس مع فارس ، أم أنه سيكون سببا في هدم ما بيننا كما حصل سابقا مع غيره!

****

ــ والدتك سيدة لطيفة جدا يا فارس ، كم أغبطك عليها !

ــ إنني أحمد الله على وجودها في حياتي !(يضحك) وإن كنت أحيانا أخشاها حين أتذكر الجانب الحازم من شخصيتها!

ـ وكيف هو جانبها الحازم ؟!

ـ عندما كنت صغيرا ، كانت أمي تعاقبني أحيانا ، إذا ما ارتكبت تصرفا خاطئًا أو غير لائق .

ـ مثل ماذا؟

ـ مثل تأخري خارج المنزل أو خروجي مع أصحابي دون إبلاغها .

ـ وكيف عاقبتك والدتك وقتها؟

ـ (مبتسما) حرمتني من المصروف لثلاثة أيام فحسب . وهو عقاب اعتَبرتُه لا شيء نظير القلق الذي سببته لها . تصوري أنها طلبت من بعض الجيران ـ جزاهم الله خيرا ـ أن يساعدوها في البحث عني ، خاصة أن أبي كان مسافرا وقتها .

ـ (مستغربة) بالنسبة لنا أنا وحنان ، لم يحصل أن عاقبنا أبي قط .

ـ (مستغربا) معقول؟!

ـ (مؤكدة) كان يؤمن أن العقاب لا طائل من ورائه ، وأنه يورث في نفس الطفل مشاعر السخط والذل .

ـ (يقطب حاجبيه) أرى في هذا بعض المبالغة . فربما تفيد هذه الطريقة مع بعض الأطفال ، وتستعصي مع البعض الآخر . وهناك من الناس وحتى من الأطفال من لا يرتدع إلا بالعقاب .

ـ (في غير اقتناع كعادتي كلما ناقشنا أمرا عن أبي) ربما ، ولكنني أفضل طريقة أبي .

يؤثر فارس ألا يرد . وغدت هذه عادته كلما تناقشت معه في أمر يتعلق بأبي ، وخالفته أنا في الرأي . فتعلقي بأبي جعلني عنيدة ، حتى إن كان فارس على حق في بعض الأحيان . كنت أصر على تأييد وجهة نظر أبي أو موقفه دون أدنى تفكير أوتردد . وبات هذا الأمر يزعج فارس ، كما أمسى واضحا أنه يؤثر السكوت والتجاهل في كل مرة . ولكن ملامحه لا تكاد تخلو من أمارات الضيق ، لدرجة أنني كنت أتساءل أحيانا عما إذا كانت ستأتي عليه لحظة انفجار ، أو أن التجاهل والتمرير سيغدوان منهجه!

****

ـ أنا لا أدري ما خطب حنين بالضبط يا حنان ؟ إنها ببساطة لا تكف عن المقارنة بيني وبين أبيكما .

ـ حنين كانت شديدة التعلق بأبي بصورة لا تتخيلها ، حتى إنني لا أبالغ حين أقول إنها قضت جل حياتها بين الدراسة أو القراءة أو مع أبي !

ـ وهل لاحظ والدك هذا التعلق ؟

ـ بلا شك .

ـ وماذا كانت ردة فعله؟

ـ كان أبي يراه أمرا عاديا جدا ، فلا تنسى أن تعلق الابنة بوالدها ، يعتبر طبيعيا في نظر أي أب . وخاصة في حالتنا ، حيث توفيت والدتنا بعد ولادة حنين مباشرة! (تسكت هنيهة وتردف) الجزء الأهم هو أن هاجس المقارنة لم يكن جزءا من حياة حنين حتى توفي أبي ، وبدأت تفد عروض الزواج . أما قبل ذلك ، فلم يعدها أحد مشكلة على الإطلاق ، حيث لم يبدُ لها أي توابع سلبية!

ـ فهمت.

ـ ولأكون صريحة معك يا فارس ، فقد استغل أبي تعلقها لصالحها ، فكان يشجعها على القراءة والكتابة كذلك . حتى إنه أخبرها مرة بأنه ينوي كتابة رواية تشاركه هي فيها ، لكنها أصرت أن يتم هو روايته . ووعدته أن تقوم بكتابة قصصها ورواياتها الخاصة .

ـ وهل كتب الرواية؟

ـ نعم ولكنه لم يتمها ، ولا أدري أتعمد هو أن يتركها دون أن يتمها ، أو أن كثرة تدقيقه ومراجعته المبالغ فيهما من وجهة نظري هما اللذان منعاه؟! على أي حال ، فقد وصى حنيناً وهو على فراش الموت أن تتمها وتختار لها عنوانا .

ـ وهل أتمتها ؟

ـ (بنبرة حزينة) لا ، مع الأسف .

ـــ معقول!

ـــ لقد أثـــار هذا الأمر استغرابـــي أنا الأخرى في البداية ، فقد توقعتها على شدة تعلقها بأبي مبادرة لأي مهمة يمنحها إيـاها ، كعهدي بها وقت حياته .

ـــ قلت في البداية! فماذا تغير لاحقا؟

ـــ لقد صادف ورأيت حنين وقد مضت عدة شهور على وفاته تقلب في أوراقه ، وتتصفح روايته ، ولكنها ما فتأت تجهش بالبكاء ، وتمتم بكلمات من قبيل "اشتقت لك " أو "كم أحبك!" ثم انتهى الأمر بأن أعادت كل شيء إلى مكانه ونهضت . وقد ألفيتها تقوم بنفس العمل من عدة أعوام مضت وانتهى الأمر آنذاك تماما كما انتهى أول مرة . ولا أستبعد أن تكون قامت بمحاولات أخرى في أوقات متباينة!

ـــ أعتقد أنها تجد صعوبة كبيرة في التأقلم مع وفاته ، ووجودها قريبة من أي شيء يتعلق به يهيج الذكرى . كما بات من واضحا أن تعلقها هذا انعكس في مقارناتها العجيبة معي !

ـــ (مؤكدة) على الأغلب هذا ما حدث .

ـــ (مبتسما) لا ريب أن والدكم كان قوي الحضور في حياتكم ، ومن الصعب عدم التعلق بذكراه . ولكنني بصراحة ... (لا يجد الكلمات المناسبة) .

ـــ (تومئ إليه) أفهم ما تمر به يا فارس . إن أسوأ المشاعر التي قد تمر بإنسان ، هي أن يشعر أن شخصيته تُمحى بسبب مقارنته بآخر ، خاصة إن كنا بصدد الحديث عن الزواج هنا .

ـــ (بحرقة وألم) إنها تسانده حتى وإن كان على ... (يعجز عن إيجاد الكلمات المناسبة مرة أخرى ، فيؤثر الصمت)؟!

ـــ على خطأ ، أليس كذلك؟

ـــ تماما ، أتذكرين موقف الكعكة ذاك؟

ـــ نعم أذكره .

ـ لقد بدا عليها الاقتناع بكلامي ، ولكنها أبت إلا أن تبدي المعارضة وتظهر الحزن . كذلك ، تحدثنا من عدة أيام عن جدوى عقاب الأطفال ، فأبت إلا أن تؤيد وجهة نظر أبيها ! (يشير بإصبعه) لأكون واضحا ، أنا لا أمانع أن نختلف في وجهات النظر وإنما ما يضايقني في مناقشات حنين أمران .

ـ وما هما؟

ـ الأول أن خلافي معها دائما ما يفسد للود قضية ، سيما وأن جله يتعلق بأبيها ، مما يجعلها تصر على رأيها وتضيق باختلافي . وربما يكون الأهم هو أنني كثيرا ما ألمح من نظراتها وطريقة تعبيرها ، أنها هي نفسها تؤمن بخطأ وجهة النظر هذه أو ذاك ، وكأن شيئا في داخلها يمنعها أن تعترف . أعتقد أن الأمر بدأ يتحول إلى ... هاجس!

ـ وهذا هو سر خلافي المستمر معها . أتمنى ألا تعرف حنين بأني أخبرتك بذلك (يومئ فارس علامة الموافقة) . بصراحة ، قد تعدى الأمر علاقتك أنت وحنين ! أتعرف أن السبب الرئيسي وراء تأخر زواج حنين هو عقدها لتلك المقارنات؟!

ـ (يومئ في اقتناع) لا أرى في هذا ما يدعو للعجب . هو شيء لا يطاق إن شئت الحقيقة ، فهذا النوع الأجوف من المقارنات يعطي الإنسان انطباعا بأنه لا شيء!

ـ أنت محق . وأزيدك من البيت شعرا يا فارس ، فأنت تعد أول خاطب لها! صحيح أنه تقدم لها الكثير ، ولكنك أول من تتم معه إجراءات الخطبة .

ـ بصراحة لا أدري ، أيكون هذا مبعثا للفخر أو داعيا للرثاء!

ـ (ضاحكة) أعتقد أنه كليهما . (بجدية) لقد تكلمنا كثيرا أنا وهي بهذا الشأن .

ـ (في اهتمام) وإلام وصلتم؟!

ـ (في نبرة محبَطة) إلى حائط مسدود ... كالعادة ! لقد أخبرتها بخطورة ما تمر به . بل إنني تجاوزت الأمر بتحذيرها أن مثل هذه الخلافات والمقارنات قد تهدد علاقتكما!

ـ وماذا كان ردها؟

ـ لم تقل شيئا ، وإن بدا عليها بعض الاقتناع . ولا أخفيك أنني استبشرت بهذا هونا ما ، فقد بات من عادتها الرد والهجوم كلما تحدثنا في هذا الشأن .

ـ أتعتقدين أن هناك أملا في أن تتخلص حنين من تلك الهواجس؟

ـ (مطرقة) لا أستطيع أن أعدك بشيء لا أضمنه . ولكني آمل ذلك!

ـ وأنا .

ـ (في حماسة) أتعرف أن هناك أمرا آخر يجعلني أستبشر بقرب الفرج؟!

ـ (مبتسما) وما هو يا ترى؟

ـ أنها إلى الآن متمسكة بالخطبة ، وهذا يعني أنها ... (تسكت هنيهة)

ـ يعني ماذا يا حنان؟

ـ أنها تريدك ، فلم يحدث أنها صمدت مع أحدهم طول هذه المدة . (وتردف) ولأكون منصفة لم يحدث كذلك أن تمسك بها أحد كل هذا التمسك .

ـ (في حزن مشوب بحيرة) لا أدري إن كنت سأستطيع الصمود أكثر من ذلك .

ـ (وقد علا وجهها أمارات الحزن وخيبة الأمل) ألهذه الدرجة ؟!

ـ (في خيبة أمل واضحة) وأكثر يا حنان ، وليت الأمر توقف عند المقارنات. فحنين لا تفتأ تذكره في كل موضوع وعند كل خلاف . إنني أحيانا أخشى مناقشة بعض الأمور معها خشية الدخول في أحد مستنقعات الخلاف والمشادات الكلامية التي لا طائل من روائها .

ـ (في رجاء) إنني أرجو منك أن تصبر عليها وتعطيها فرصة أخرى .

ـــ المشكلة أنها لا ترى الأمر هاجسا بل واجبا تجاه والدها! إنني أشعر أحيانا أنها تخشى خيانة ذكراه ، إذا ما هي أبدت مخالفة لطبع كان له أو وجهة نظر تمسك هو بها!

ـــ (مؤكدة) ثق بي يا فارس حين أقول لك ، إن حنين لا تعاني من مشكلة الاعتراف بالخطأ ، في حال ظننتَ ذلك ، طالما كان الخطأ خطأها . بيد أنه إن كان خطأ أبي ، فهي تجد له ألف مبرر ومبرر .

ـــ نستطيع القول إذن أنها تعيش في هاجس "قدسية نموذج الأب" .

ـــ (مؤيدة) مع الأسف!

ـــ (متسائلا) وماذا تقترحين أنت حلا لهذه المشكلة؟

ـــ لطالما كان الحوار والصراحة حلا لكثير من المشكلات . وكم أتمنى أن يجعلها حوارك معها تأخذ الأمر بجدية أكبر .

ـــ (يطرق في قلق) أما أنا فأتمنى ألا يفضي إلى انفجار قاتل!

****

ـــ (أنظر إليه في حيرة) لماذا تبدو شاردا اليوم على غير عادتك يا فارس ؟!

ـــ بصراحة يا حنين ، أردت التحدث معك في أمر مهم . (ينظر إلى التقارير المتراصة أمامي) ولكن من الواضح أنك مشغولة الآن بمراجعة التقارير .

ـــ (أُزيح التقارير جانبا) لا إطلاقا ، انتهيت لتوي ، وهذا آخر ملف . (أردف في هدوء) أردت فحسب أن ألفت انتباهك أنني وأثناء مراجعتي لملفات عدد من المرضى الذين مروا على أقسامكم ، وجدت الكثير من الأخطاء الإملائية في ملفاتهم . وكلها (أنظر إلى الملفات) كما أرى من توقيعاتك هنا ، قد مرت عليك . صحيح أن الأخطاء لم تكن جوهرية ولكنها تظل أخطاء .

ـــ (يجيب في نفس الشرود) اعذريني يا حنين! سأنتبه لهذا الأمر المرة القادمة ، فبصراحة ليس من عادتـــي مراجعة ما أكتب .

ألقيت عبارتي التالية بتلقائية وعدم اكتراث . ولم أدرك أنني بذلك قد ألقيت قنبلة موقوتة تهدد بالانفجار في أي لحظة بل بالذات في تلك اللحظة ! فلم يكن عندي أدنى فكرة عن الموضوع الذي كان ينوي فارس أن يحدثني به!

ــ كان أبي يحثنا دائما على مراجعة أي شيء نكتبه مهما كان تافها : تقريرا أو ملاحظة أو غيره .

وهكذا أشعلتُ الفتيل دون أن أدري . فحدق بي فارس لهنيهة ، وبدا كأنما يحاول تمالك أعصابه ، ثم أردف في غيظ مكتوم:

ــ لكن في هذا إهدار لكثير من الوقت ، خاصة وأن ليس كل ما يكتبه المرء يخضع لذات الأهمية .

ــ (أسترسل في خاطرتي بتلقائية) لكن أبي كان يعد هذا الأمر رئيسيا ، ولطالما ردد عبارته الخالدة " الدقة هي أهم شيء" . تصور أنه كتب الكثير من القصص التي لم يتمكن من نشرها لكثرة ما كان يدقق ويراجع ، ويراجع ويدقق!

ــ (بنبرة محبَطة) خسارة ، لو أدرك والدك ألا عمل يخلو من العيوب والأخطاء ، لكنّا الآن نستمتع بقراءة رواية خلابة من تأليفه !

ــ (مبتسمة) ربما! (وكأني تذكرت شيئا) بالمناسبة ، ما هو الموضوع الذي أردت مناقشتي فيه؟!

ــ (يبتسم في تردد) في الحقيقة هو الموضوع الذي نحن بصدده الآن .

ــ أتقصد التقارير ومراجعتها؟

ــ لا ، قصدت ... (وكأنه يطلق رصاصة) أباك!

ــ (متعجبة) أبي ، وما هو الأمر الذي ترغب في مناقشته ويتعلق بأبي؟!

ــ أردت أن نتناقش حول المقارنات العديدة التي تعقدينها بيني وبينه يا حنين .

ولسبب ما أثارت حفيظتي صراحة فارس ، ورغبته في مناقشة ما رأيته أنا حقا لا جدال فيه . ورغم علمي بخطأه وعدم جدواه كما اعتادت أن تخبرني حنان ، فإن سيرة أبي ظلت حتى الآن خطًا أحمر ، على الأقل بالنسبة لي . فكان أن رددت على فارس بنبرة دفاعية رغبة مني في إغلاق باب النقاش قبل أن يبدأ !

ــ إن أبي هو مثل الأعلى يا فارس ، ومن حقي أن أعقد ما شئت من المقارنــا...

ـــ (مقاطعا في حزم) لا ، هذا ليس من حقك! (يستطرد في هدوء) إنك بعقد هذه المقارنات المجحفة ، تظلمين والدك وتظلمنيني معه يا حنين . إنك حتى لا تقبلين أن نختلف أنا وأنت في وجهة النظر ، لمجرد أن وجهة النظر المخالِفة هي وجهة نظر أبيك . هذا عدا أنك لا تنفكين تتحدثين عنه ، حتى صار والدك سيد كل جلسة أو موقف أو حديث!

ـــ (مقاطعة في نبرة هجومية) ألا تريدني أن أذكر أبي في أحاديثنا ؟!

ـــ (وقد أثرت حفيظته بهجومي) إن هناك فرقا كبيرا يا حنين بين أن تذكري أباك ، وهو حق لا أريد ولا أستطيع ، بل لا أملك غبنك إياه ، وبين ألا يكون لك حديث غيره ، واعتراضي على الثانية لا الأولى . (محاولا تمالك نفسه) كل ما أريده منك هو أن تمنحيني فرصة ... فرصة واحدة فحسب ، لأكون الرجل والزوج الذي أريده لك وتريدينه لنفسك . ولكن كيف أكونه وأنت لم تمنحيني أي فرصة لأعرفك بنفسي ، بل ولم تمنحي نفسك الفرصة للتعرف علي .

ـــ (اشتعل الغضب في داخلي مع عبارته الأخيرة) أصارت المشكلة الآن مشكلة تعرُّف يا فارس؟!

ـــ (وقد بدأ صبره ينفد خاصة مع عصبيتي التي أخذت تزداد) إن ما تعانينه يا حنين يتجاوز تقدير ذكرى والدك ، ليصل إلى حد التعلق الهاجسي بنموذجه . بل إن هذا الأمر لا علاقة له بالحب أو التعلق من قريب أو بعيد . إنك بهذه المقارنات وهذا التفكير ، تحصرين الرجال في رجل واحد ، وتمحين شخصياتهم محوا . (تابع في حزم) ولأكون صريحا معك فقد ضقت ذرعا بكل هذه المقارنات التي لا تنتهي ، وكم وددت مرارا وتكرار أن أحدثك عن هذا الأمر!

ـــ (بحدة) ولماذا لم تفعل طالما أنك تراني مريضة بالهواجس؟

ـــ (محاولا الحفاظ على هدوئه) لم أقل إنك مريضة بالهواجس ، أنا أناقش إسقاطك المستمر لنموذج والدك . فقد ظننت في البداية ، أنه استحضار طبيعي للرجل الذي كان مثلك الأعلى ، وتفهمت ذلك . لكن الأمر تجاوز الحد المعقول ، خاصة وأنه صار مثار خلافات وشقاق بيننا ، ينتهي دائما بتسليمي الصامت على مضض . لذلك أنا مضطر لمصارحتك الآن وبهذه الصورة ، قبل أن يبلغ السيل الزبا . لاسيما وأنه بات جليا أن الأمر تعدى التعلق ليغدو هاجسا خطيرا يهدد علاقتنا !

ورغم علمي بما يرمي إليه فارس ، إلا أنني أَبَيْت إلا أن أسأله هذا السؤال الذي أنهى كل شيء!

ـــ إلام ترمي بالضبط يا فارس ؟!

ــ (قال في عصبية وقد علم أني آبى المواجهة) باختصار يا حنين ، يجب عليك أن تتخلصي من هذه العقدة!

ــ أتعني أنني معقدة ؟!

تجاهل فارس كلماتي عمدا ، فقد بدا واضحا أن الغضب قد أخذ منه مأخذه . وأنه مع ذلك يرفض أن ينساق إلى تيار الغضب الذي فرضته عليه بعصبيتي وهجومي ، فأردف في نبرة حاسمة وهادئة وحائرة في آن واحد:

ــ أتمنى فحسب لو أعرف هدفك من وراء تلك المقارنات والأحاديث المتواصلة عن والدك ، أتريدين مني أن أكون مثل أبيك؟!

ــ (بمنتهى العفوية) يا ليت!

ارتسمت على وجهه أمارات الإحباط والحزن ، لاسيما وأنه لم يتوقع هذه الإجابة ولا ذاك الهدف! فأطرق قليلا ، ثم استطرد ملقيا بدوره قنبلته الناسفة :

ــ أنا آسف جدا يا حنين ، ولكنني لا أستطيع ذلك!

ــ (وكأنني لم أستنبط ما يعني ، فسألته في دهشة) لا تستطيع ماذا؟

ــ أن أكون مثله ... مثل أبيك!

أنظر إليه ممتقعة فيردف :

ــ في البداية يا حنين ظننت أن الهدف من هذه المقارنات والمجاذبات ، ربما يرجع إلى رغبتك في في اقتراح أفكار جديدة وإبداعية بطريقة غير مباشرة وعلى لسان والدك . بيد أن الأمر زاد عن حده ، وها أنت الآن تصارحينني برغبتك! ألا يا ليتك سألتيني من البداية فصارحتك! إنني يا حنين أُجِل أباك ، وأكن له كل احترام وتقدير . وكلما عرفت عنه أكثر ازددت حبا له وإجلالا . ولكنني أملك في ذات الوقت يا حنين شخصيتي المستقلة والمختلفة ، والتي لا شك تتابين عن شخصية والدك . وأنا حريص كل الحرص على إصلاحها وتطويرها ، ما استطعت إلى ذلك سبيلا . وذلك رغبة مني في أن تصبح حياتنا معا أجمل وأكثر ثراء ، لا لأكون نسخة من أبيك! وحتى لو أردت ذلك يا حنين ، فإنني بكل بساطة لا أستطيعه ... لا أستطيع أن أكون إنسانًا آخر! عليك أن تستوعبي هذه الحقيقة ، لأن ما عداها وهم لن يكون .

شعرتُ حينها أني مستنزفة . وبقدر ما وددت لو أعطيت نفسي فرصة لأفكر وأزن الأمور ، وجدتُني أقول في سرعة وعصبية ، ودون أدنى درجة من التفكير :

ــ إذن فليمض كل منا إلى حال سبيله !

اتسعت حدقتاه كمن صعقته صاعقة ، وبدا أنه لم يتوقع أبدا أن يكون هذا اقتراحي أنا لمشكلتنا ـ إن جاز تسميته اقتراحا ـ فسكت هنيهة ، ثم أطرق وقال في تجهم :

ــ أهذا هو ردك الأخير؟

ابتلعت ريقي وغمغمت ، وقد شعرت أن كل شيء حولي تبعثر ، فلن يفرق مزيد بعثرة :

ــ نعم!

فنهض من مكانه قائلا:

ــ لك ما تريدين إذن يا دكتورة حنين!

وخرج من الغرفة وأغلق الباب خلفه بهدوء ، لم يخْفَ فيه شعور الغضب . وخرج من الغرفة وأغلق الباب خلفه بهدوء ، لم يخْفَ فيه شعور الغضب . وكان إغلاقه الباب إيذانًا ، بفراق بيني وبينه ، حتى حين .

****

مضت ثلاثة أشهر على فسخ خطبتي أنا وفارس ، ومانزال نلتقي في المستشفى من حين لآخر ، ولكن اللقاء غير اللقاء ، والحديث غير الحديث . صرنا غريبي اليوم بعد أن كنا حبيبي الأمس! "إن ما تعانينه يتجاوز التعلق ... إنك بهذه المقارنات وهذا التفكير ، تحصرين الرجال في رجل واحد ، وتمحين شخصياتهم محوا !" أخذت كلمات فارس تتردد في رأسي ! أيكون محقا في أني قد بالغت ؟! وهل يبالغ الإنسان حين يحب والديه أكثر من أي شخص آخر؟! ولكن هل ما بداخلي تجاه أبي هو مجرد حب؟! إنني لا أكاد أتوقف عن ذكره حتى أعود لأذكره ثانية ! أتكون حنان محقة في أن ما أعانيه هو هاجس أكثر من كونه حبا وتعلقا ؟!

"كل ما أريده منك هو أن تمنحيني فرصة ... فرصة واحدة فحسب!" ما برحت عبارته تلك تتردد في عقلي ! هل حقا ظلمته؟! نعم ، كان فارس محقًا ، فأنا لم أمنحه قط فرصة أن يعرفني بنفسه! جلُّ ما أعرفه عنه هو ما شهدته بعيني من مواقف ، و ما سمعته مصادفة من أحاديث هنا أوهناك! إنني حين أفكر الآن بالأمر ، أكتشف أنني لا أكاد أعرف عنه إلا القليل ، رغم أن خطبتنا امتدت على مدار عام كامل!

قالت أختي إن البشر يخطئون ويصيبون ، وها أنا بعد عاجزة عن الإقرار بأخطاء أبي حتى اللحظة! ولكن أن يصل بي التعلق للدرجة التي تمنعني من رؤية مميزات فارس ، هذا هو ما لا أستطيع فهمه ! أمعقول يا حنين أن تكون أختك أعلم بنبل وروعة خطيبك منك ! إن حنان لم تلقه إلا مرات معدودات ، بيد أن تيكم المرات على قلتها كانت كافية لتقدره وتحترمه . وإنني حين أتذكر مواقفه ، أجد الحق كل الحق معها!

أنّى لي أن أنسى موقفه مع الأستاذ شوكت في مستشفى الشفاء! أو مساندته ودعمه لمرضاه! أنى لي أن أنسى ابتسامته الودود ورقته! حتى الطريقة التي عرض علي الزواج بها كانت لافتة ومميزة ! بل أنى لي أن أنسى موقفه النبيل مع أختي حنان حين أصابتها الحمى ،وقد تجاوزت الساعة منتصف الليل! كان محمود مسافرا حينها ، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أتصل بفارس وأستنجد به ، وقد اختنق صوتي بالدموع . وما هي إلا دقائق حتى جاء على الفور واصطحبنا إلى المشفى بل وأشرف على العلاج بنفسه . وأنى ... أنى لي أن أنسى موقف "الكعكة" ذاك ، والذي حرص فيه أن يطيب خاطري ، رغم أن الحق كان معه ، فاشترى لي واحدة أخرى خصيصا في الأسبوع التالي لخطبتنا !

جعلت أتنقل من موقف لآخر حتى وصلت للحظة الحاسمة ، لحظة لقائنا الأخير! " لا أستطيع أن أكون إنسانًا آخر! عليك أن تستوعبي هذه الحقيقة ، لأن ما عداها وهم لن يكون ." مست كلماته شغاف قلبي ، بعد أن حطمتني وقتها ، فقد كان ما قاله فارس منطقيا وواقعيا! إنني أنا التي حطمته ، وجرحت شخصه ورجولته ، حين أردته أن يكون كأبي! لم أتفهم موقفه ، بل لم أرد أن أتفهمه! كنت أراه وقتها ، يلقي بعلاقتنا في مهب الريح . ولم أدرك أنني أنا من أصابها في مقتل ، بطيشي وتسرعي! ولكن لماذا انتابني هذا الشعور يا ترى؟! ألأنه رفض أن يكون كأبي ؟! نعم ، أعتقد ذلك! ولكن أليس هذا من حقه يا حنين ؟! أليس من حق كل إنسان أن يكون نفسه؟! ألم تسألي نفسك مرة ، ماذا إذا قرر فارس مقارنتك بأمه ؟! ألم يكن هذا ليزعجك ويذهب بلبك ، وأنت الفتاة المستقلة المعتدة بنفسها ؟! لماذا ترضين له إذن ما لا ترضينه لنفسك ؟! قد دمرت كل شيء ... كل شيء!

خطر لي عندها فتح الصندوق ، الذي كان يحتفظ فيه أبي بكتاباته الأدبية ، عسى أن أجد في حنان ذكرياته عزاء وملاذا من قسوة ذكرياتي الآن . وقعت مرة أخرى على رواية أبي التي بدأها ولم يتمها! ومرت بخلدي مرة ثانية وصيته ... وصية أبي: "عدلي فيها ما شئت يا حنين! وغيّري في الشخصيات والأحداث ما أحببت! ولكن لا تمسي الفكرة الرئيسية بسوء ، فهي الرسالة التي أبغي توصيلها يا ابنتي" ، كانت هذه هيكلماته الأخيرة لي . أراد أبي مني أن أتم الرواية التي بدأها هو! كانت هذه وصيته على فراش الموت . قد مضى عليها الآن عشر سنوات ، ومازلت أجد نفسي عاجزة في كل مرة أن أتمها! في الحقيقة ، أخشى ألا تصل إلى الدرجة التي يريدها أبي من الإتقان! كان هذا هو سبب ترددي دوما! أعرف أن حب أبي للمراجعة والتدقيق كان مبالغا فيه في كثير من الأحيان . نعم ، أعترف الآن بذلك! أعترف وقد فات أوان الاعتراف! ولكنها وصيته يا حنين ، ويجب عليك أن تحرصي على تنفيذها . وهكذا ، جعلت عبارة واحدة ترن في أذني وأنا أقلب صفحات الرواية: "يجب عليك يا حنين أن تتمي ما بدأ والدك!" . وما إن بدأت في قراءتها حتى كدت أفقد عقلي ، فقد كانت رواية أبي تعرض للب الخلاف الذي نشأ بيننا ... أنا وفارس! فعزمت على أمر ... وكان ما عزمت!

****

" لك ما تريدين إذن يا دكتورة حنين! " ، أطرق فارس برأسه حين تذكر تيك العبارة ، واستسلم لدقائق طويلة من التفكير ، التفكير الذي لم ينقطع عنه منذ فسخت خطبتهما ... هو وحنين! ترى هل أخطأت يا فارس حين لم تعطها فرصة أخرى؟! ولكنها هي من اختارت الفراق ؟! ربما ، إلا أنها كانت غاضبة حينها ، وهكذا هن النساء حين يغضبن أو يحزن ، ولذلك أوصانا نبينا صلى الله عليه وسلم بالرفق بهن! كيف غاب عن بالي موقفها الذي جذبني إليها أول مرة؟! بل ماذا عن مواقفها الأخرى التي جعلتني أتمسك بها رغم ضيقي بمقارناتها الظالمة! ما أسرع ما تغيب عن بالنا نحن البشر ساعات الفرح وسط سويعات الألم!

رأيتها بل وأعجبت بها أول مرة ، حين دخلت حجرة الأستاذ شوكت سامحه الله ! كم خلبت لبي بردودها المفحمة واعتدادها بنفسها! كان هذا الموقف وحده كفيلا بأن يدفعني لأعرض عليها الزواج ، بيد أنني أردت أن أتعرف عليها أكثر كامرأة وكإنسانة وكحنين ، أكثر من كونها مجرد طبيبة! وألفيتها عند حسن ظنـــي ، فكنت كلما عرفتها أكثر ، انجذبت إليهـا أكثر وأكثر! خلبت لبي طلاقتها في الحديث وتفتح مداركها ، ولطالما أعجبتني تقاريرها المنسقة المنمقة!

أكثر ما لفت انتباهي في شخصيتها هو حبها الشديد للأطفال وعطفها عليهم . قد قرأت مرة أن الناس الذين يتعاملون مع الأطفال بكثرة ، تختلف نظرتهم إلى الحياة ، كما يصبحون أكثر تبسما من غيرهم! إنني لا أستطيع نسيان ذلك الطفل رويد ذو السبع سنوات . والذي كسرت قدمه ، وقضى في المشفى عدة شهور . فكانت حنين تخصص ساعة كل يوم بعد أن ينتهي دوامها لتجلس معه وتحكي له القصص والحكايات . فما كان من ذلك "الرويد" الحافظ للجميل إلا أن زار المشفى مع والدته بعد شهر من خروجه ، خصيصا ليهدي حنين باقة من الورود ، ومجموعة من الكتب القيمة عرفانا بالجميل ! أتذكر حينها ملامح حنين ، فقد تعجَّبَت جدا من قدرته على معرفة نوعية ، بل وأسماء الكتب التي تفضلها! فأخبرها الصغير رويد أنه حَرص على حفظ أسماء الكتب المفضلة لديها ، حين حدث وأخبرته بها في معرض حديثهما معا!

وأذكر الآن رعايتها لأبناء أختي فادية : سامي وسمية ، حينما اضطرت فادية للخروج لقضاء أحد المصالح . أخبرتني فادية لاحقا أن الطفلين تعلقا بحنين كثيرا ، وكان لا ينفكان يسألان عنها ويلحان في زيارتها بين الفينة والأخرى! لا ريب أنها كانت رائعة في التعامل مع الأطفال!

قد كنت صادقا حين أخبرت حنين بأنني أجل أباها! فالأب الذي يرعى بناته ويحتويهن ويكتنفهن بكل المحبة والحرص ، لجدير بكل تقدير ومحبة واحترام . وكم وددت لو تعطيني فرصة لأثبت نجاحي كزوج لها ، كما نجح والدها من قبل في أن يصبح خير أب! ولكن هيهات يا فارس ... وقد جاء الأوان وفات!

****

عزيزي فارس ،

أكتب لك اليوم لا لأستدر عطفك أو أصل ما انقطع! وإن كنت ـ لو شئت الحقيقة ـ أنأى بنفسي عن الأولى وأتوق للثانية! ! وإنما تستطيع اعتبار رسالتي هذه إليك اعتذارا على ما بدر مني! فقد تجاوزت الحدود حين أردت منك أن تكون إنسانا آخر غير نفسك ، وإن كان هذا الإنسان أبي! لقد اكتشفت حقا عقب فسخنا لخطبتنا ، أنني لم أعطك أي فرصة لتعرفني بنفسك! بيد أنني أطمئنك بأنني عرفتك ... عرفتك من مواقفك! وهل هناك ما هو أحسن من المواقف لتحكي عن الإنسان وترسم صورته في أصدق معانيها؟! عرفتك يا فارس شهما حين دافعت عني عقب رحيلي من مستشفى الشفاء! وعرفتك رقيقا حين شاهدت وشهدت تفانيك مع المرضى! وعرفتك شهما حين قدمت العون لأختي حنان في تلك الليلة الليلاء! وعرفتك مرهف الحس حين

أبيت جرح مشاعري ، وآثرت التحدث مع حنان عن موضوع المقارنة ذاك! عرفتك في كل هؤلاء وأكثر! لكنني أعترف لك أني لم أعرفك بعد كفارس ، فقد أعماني تعلقي بأبي أن أرى الصورة كاملة!

كم أتمنى أن تلتمس لي العذر ولا تلمني . وإن كان ولابد من الملامة ، فلا تلمني إلا قليلا! وتذكر أني فتاة كان أبوها لها كل شيء ، وعندما تركها ورحل أخذ معه كذلك كل شيء! وصدقني إذا ما قلت لك أن كل المقارنات التي عقدتها كانت تلقائية بل وبديهية بالنسبة لي . قلتَ أنني أمحو بتيكم المقارنات شخصيات الرجال الذين تقدموا لي . والحقيقة يا فارس هي أنني لم أكن أرى رجلا غير أبي ، فكل الرجال الآخرين باتوا عندي سواء! وما لبثت أن اختلت أطراف المعادلة حين ظهرت أنت في حياتي . حاولت كثيرا أن أحافظ على صورة أبي في نفسي ، وأن أزيحها في الوقت نفسه جانبا . وذلك حتى أعطي الفرصة لصورة أخرى ورجل آخر ليحتل مكانا إلى جانبه ، ولكنني لم أقدِر! كنت أشعر بالذنب لمجرد المحاولة . وأمسى يروادني شعور لا يغادرني ، وهو أنني مدينة لأبي بكل ما أملك . حتى قلبي وعقلي أحسست أنهما صارا ملكا له بعد مماته . هذا إن لم يكن قد أخذهما معه وتركني خالية الوفاض! أعلم بأنني ربما خضت في تفاصيل قد لا تهمك أو تعني لك أي شيء ، وإنما قلته معذرة إليك ولعلنا نجتمع ... مرة أخرى!

****

كم كنت سعيدة حين دخل فارس علي مكتبي بالأمس . أخبرني أنه بعد قراءته للرسالة يود أن نجلس "جلسة تفاهم" . فكان ما أراد!

****

ــ صحيح أنني من طلب الاجتماع اليوم معك يا حنين . غير أنني لسبب ما أجد نفسي عاجزا عن قول ما أريد . كل ما يخطر في بالي الآن هو رغبتي الأكيدة في استمرار علاقتنا ، وأن نبدأ من حيث انتهينا أو أنهينا إن أردنا الدقة .

ــ (مُطمئِنَة) لا بأس يا فارس ، فأنا أعرف ما تريد قوله . (أسكت هنيهة ثم أردف في هدوء) إنني أعدك أن أتوقف عن هذه المقارنات ما استطعت ، وأرجو أن تعينني على ذلك بالتنويه أو الإشارة متى ما جاوزت الحد . أما بالنسبة لذكر أبي فـ...

ــ (مقاطعا) استمري في الحديث عنه إن شئت!

ــ (مستغربة) ظننت أنا هذا الأمر يضايقك .

ـــ (نافيا) مطلقا ، (موضحا) ما ضايقني هو أن يحتل هذا الموضوع جل أحاديثنا ومناقشاتنا ، بحيث لا يمنحنا فرصة الحديث أو النقاش حول أمور ومواضيع أخرى!

يشير لها بيده مستأذنا ، ويوضح:

ـــ إنني لا أستطيع أن أجبرك أو حتى أن أطلب منك ألا تذكري والدك ، أو تمتنعي عن ذكره . فإنني حينها لن أكون الزوج الذي ترتضينه لنفسك ، ولا الرجل الذي أرضاه لنفسي!

أمسك فارس عن الكلام ، وكان من الواضح أن هناك شأنا آخر يضايقه ، فأضفت في شيء من التردد :

ـــ هل هناك أمر آخر ساءك مني؟

وكأنني أزحت عن كاهله هما بسؤالي إياه :

ـــ الحقيقة أن ما أرهقني من أمري عسرا ، هو أنكِ صرت كلما اختلفنا معا ، تلجئين إلى وجهة نظر والدك في كل قضية وأي موضوع . وأنا حين أناقش معك أمرا ، فغرضي هو أن أعرف وجهة نظرك أنت ... وجهة نظر حنين التي سأتزوجها!

ـــ (مستفهمة) لكن ماذا إذا توافقت وجهة نظري مع وجهة نظر ... أبي؟

ـــ (مطمئنا) لا بأس في ذلك ، طالما كان هذا الاستثناء لا القاعدة!

ـــ (مبتسمة في مكر) وكيف ستعرف إن كان ما أعرضه وجهة نظري أنا أم وجهة نظر أبي ؟!

ـــ (في ثقة) سأعرف!

ـــ (في حيرة) وكيف ذلك؟

ـــ إنك حين تعرضين وجهة نظرك التي تؤمنين *أنت* بها ، تكونين متوقدة ومتحمسة ، كموقفك مع الأستاذ شوكت مثلا! أما حين تعرضين وجهة نظر والدك ، فكأنك تقررين حقيقة كونية بديهية ، لا تتفاعلين معها بنفس الحرارة .

توردت وجنتي ولم أجد ما أقوله فاكتفيت بالابتسام ، فاستكمل فارس حديثه:

ــ إنني أريدك أن تتفهمي موقفي يا حنين وأن تعرفي أنني لن أكون أبدا كأبيك! لأن العلاقة التي أرغب في تكوينها معك هي علاقة الزوج بزوجته ، وليس الأب بابنته! واعلمي ألا أحد يضاهي الأب والأم في حنانهم وعطفهم على أبنائهم . وأنا مدرك أن الزوج مطالب بالعطف على زوجته والحنو عليها واحتوائها ، غير أن هذا لا يحوله بحال إلى أب . بل سيظل زوجا وسكنا ورحمة لزوجته ، تماما كما أراد الله منه ولها!

ــ (وقد علت وجهي ابتسامة الرضا) إنني ... لا أدري ما أقول!

ــ (ينظر إلي في حنانه الذي افتقدته طويلا) قولي أنك موافقة أن نستكمل هذه الحياة معا .

ــ (وقد احمرت وجنتي) ما كتبت لك هذه الرسالة إلا بتلك النية .

ــ (في حماسة) اتفقنا إذا . (يطرق قليلا ثم يردف كمن تذكر شيئا)

ــ بالمناسبة ، هل أكملت رواية والدك؟

ــ (وقد أثار سؤاله عجبي) وكيف عرفت بأمر الرواية ؟! أنا لا أذكر أنني أخبرتك عنها!

ــ (موضحا) قد أخبرتني حنان .

ــ (متهكمة) دائما ما كنت أرى في حنان حافظة أسرار رائعة!

ــ (مؤكدا) خاصة فيما يتعلق بك!

ــ (ضاحكة) لا شك عندي في ذلك . (أسكت قليلا ثم استأنف في جدية) . حسنا فليكن إذا ، سأخبرك بالتفاصيل كلها.

ــ (في اهتمام) كلي آذان صاغية يا دكتورة حنين !

ــ قد قررت أخيرا أن أتم الرواية ، وبدأت بالفعل في قراءة الجزء الذي كتبه أبي . إلا أنني لسبب ما أشعر بالرهبة كلما خطر في بالي أني سأكمل عملا بدأه أبي ، وما ألبث أن أشك في قدرتي على إتقانه بنفس الصورة التي كان ليقوم بها لو كان حيا!

ـــ إذن والدك قد كتب الرواية ولم يسعفه الوقت ليتمها ، فأوصاك بذلك ، صحيح؟

ـــ نعم .

ـــ قد أخبرتني حنان أن والدك كان راغبا في أن تكتبا أنت وهو رواية معا؟

ـــ صحيح ، ولكنني رفضت ذلك ، وأردت لأبي أن يستكمل روايته كلها . وربما كان مرجع تلك الرغبة هو ذات الشعور الذي يكتنفني الآن ، ويكاد يمنعني من استكمال الرواية .

ـــ أتقصدين بذلك الشعور خشيتك من ألا يصل العمل لدرجة الإتقان ، الذي قد يرتضيها والدك ؟!

أومئ برأسي ، فيستأنف هو:

ـــ ألم يخطر في بالك أنه ربما لم يتمها متعمدا ، لتكمليها أنت ؟

ـــ (في حيرة وشرود) أتظن ذلك حقا؟

ـــ (في ثقة) هذا ما أراه أنا . (يسكت قليلا ثم يردف) بالمناسبة ، عم تتحدث الرواية ؟

ـــ (ضاحكة) أظن أنها موجهة لي بصورة غير مباشرة!

يبتسم فارس من تعليقي ، فأردف أنا :

ـــ كان يتحدث فيه عن بطل يتوق إلى المثالية في شريكة حياته ، ولا يفتأ يقارنها بـ ...

ـــ (مقاطعا) دعيني أخمن ، يقارنها بأمه ، أليس كذلك؟!

ـــ (أضحك وأومئ برأسي) ألم أقل لك أنها موجهة لي؟!

ـــ (مبتسما) الآن وقد عرفتك ، وشهدت مقارناتك العجيبة ، فبلى ، هي لا شك موجهة لك ! (يسترسل في جدية) أما وقد ذكرت هذه النقطة يا حنين ، فكلي يقين أني هذه الرواية ستغدو تجربة ثرية جدا بالنسبة لك بإذن الله !

ـــ ألأن البطل مر بتجربة تشابه تجربتي؟

ـ بالضبط ، فهذه الرواية من شأنها إعانتك على تخطي هاجس المقارنة إن شاء الله . فكثيرا ما تكون الكتابة ، وسرد الخواطر بالذات مفتاحا لمواجهة وحل كثير من المشكلات .

ـ (وقد لمعت في ذهني فكرة) آه ، كيف لم تخطر في بالي هذه الفكرة من قبل ، فارس أنت عبقري!

ـ (في زهو) لطالما آمنت بذلك في أعماقي!

ـ (مبتسمة) يا مغرور!

ـ (بجدية) وما هي الفكرة ؟

ـ (في مكر) إنها مفاجأة ، ستعرفها في حينها!

ـ هكذا إذا!

وأخيرا ضحكنا معا في حبور ... بعد مضي عدة شهور!

****

سيداتي وسادتي الضيوف الكرام ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

بداية ، أشكر لكم دعوتكم الكريمة وقبولكم بانضمامي للـ "مسابقة الكبرى للرواية العربية للمرأة" . كما يسرني أن أعبر لكم عن مدى فخري وامتناني بفوز رواية أبي بالجائزة الأولى ، وذلك من أصل خمسمائة رواية تم ترشيحها لدخول المسابقة .

اسمحوا لي أن أعرفكم بنفسي ، أنا حنين فياض لطفي . والرواية التي نحن بصددها من تأليف أبي الطبيب والأديب فياض لطفي . وقد قمت بتنقيحها والتعديل فيها كما أوصى رحمه الله . تروي الرواية ـ بعد التعديل الذي أضفيته عليها ـ علاقة فتاة بأبيها بدأت منذ الطفولة وامتدت حتى بعد مماته . هذه الفتاة قد توفيت والدتها منذ كانت طفلة صغيرة ، وغدا والدها أغلى ما تملك وكل ما تملك . تبدأ المأساة بعد رحيله ، حيث تواجه الفتاة الكثير من التحديات ، خاصة فيما يتعلق بأمر

الزواج ويرجع ذلك إلى تلك العلاقة الوطيدة بينها وبين أبيها . ما هي هذه التحديات والأزمات ؟ وكيف استطاعت البطلة التغلب عليها ؟ وإلام آلت أحداث الرواية ؟ كل هذه الأسئلة وغيرها كثير ، تجدون إجاباتها أثناء قراءتكم للرواية . لذلك لا أود الاستفاضة في شرح تفاصيلها ، لئلا أفسد قراءتها عليكم . آمل أن تستمتعوا وتستفيدوا بقراءتها ، سيما وأن الرواية تعكس تجربة واقعية . وأكتفي هنا بهذا القدر ، وأرحب بأسئلتكم .

ترفع إحدى السيدات يدها للسؤال ، فتشير لها حنين أن تتفضل:

ــ دكتورة حنين ، أشرت في كلمتك أنك تتمنين من القراء أن يستفيدوا ويعتبروا من تجربة البطلة ، فهل نفهم من هذا التنويه أن الرواية تحمل نبرة وعظية ؟

ــ لا ، إطلاقا . وإنما تعتمد الرواية في الأصل صيغة المتكلم ، فبطلة القصة هي التي تروي الأحداث . ومن المعلوم أن صيغة المتكلم هي من أكثر الصيغ اللغوية التي تسهم في كسر الحاجز بين الكاتب والقارئ ، وتعمل على تقريب المسافات بينهما .

تومئ السيدة برأسها وتستطرد :

ــ من جهة أخرى ، كون هذه التجربة فريدة من نوعها ، أعني أننا لا نشهد كل يوم فتاة تستكمل رواية أبيها بعد وفاته! هل لك أن تخبرينا كيف كان وقع مثل هذه التجربة عليك ؟

(وهنا يدخل فارس المؤتمر ، بعد أن جاء متأخرا)

ــ أوفقك الرأي في أنها تجربة فريدة من نوعها . وقد كان وقعها على نفسي كبيرا ، بل إنها غيرت من حياتي وطريقة تفكيري . وتمكنتُ بفضل الله ثم بفضلها من استعادة العلاقة مع شخص عزيز على نفسي كنت على وشك أن أفقده .

ــ وكيف ذلك ؟

(يصغي فارس السمع)

ــ لقد علمتني هذه الرواية أن لكل إنسان خصالا رائعة ، وفكرا مميزا . وفي المقابل فإن له صفاتً ذميمة ، وأفكارا شاذة وغريبة . وأننا مهما تصورنا الروعة في شخص بعينه ، فإن هذا لا يضفي عليه الكمال بحال . علاوة على أن صفاته الإيجابية لا تجعل منه المعيار الذي يتم على أساسه مقارنة و تقييم غيره من البشر . فالنفس الإنسانية أعمق من أن تحصر

في صفات شخص واحد . تلك الصفات التي حببها إلينا في كثير من الأحيان إجلالنا لذلك الشخص . تماما كما يورثنا بغض أشخاص آخرين ، مقتَ صفاتهم .

يشير لي منظم الحفلة بأن الوقت المخصص قد انتهى الوقت ، فأردف :

ــ وأختم بقول الشاعر :

عين الرضا عن كل عيب كليلة   وعين السخط تبدي المساويا

يصفق الجميع تصفيقا حارا!

****

ــ (مبتسما) شخص عزيز ، أليس كذلك؟ من هو يا ترى ذلك المحظوظ؟

ــ (تطرق في حياء) كنت لأخبرك ، لولا أنك تعرفه حق المعرفة .

ــ هل هو يا ترى نفس الشخص الذي سيَعقد قرانه عليك الأسبوع المقبل ؟

ــ (مبتسمة في إقرار) هو بعينه .

ــ (يتنفس الصعداء) الآن اطمأن قلبي .

نضحك معا . ثم تقبل علينا حنان .

ــ كنت رائعة يا حنين!

ــ شكرا لك يا حبيبتي .

ــ هيا بنا ، علينا أن ننطلق الآن لنستكمل تجهيزات عرسكما .

تسبقنا حنان إلى خارج القاعة .

ــ صحيح ، نسيت أن أسألك لماذا تأخرت هكذا يا فارس ؟! قد خشيت ألا تحضر في النهاية!

ــ (مبتسما) معقول أن أفوت فرصة ذهبية كهذه ! (يسترسل في جدية) أعتذر منك على تأخري . فما حدث هو أن أحد الأطباء اعتذر اليوم لمرضه الشديد ، فاضطررت إلى المكوث ساعة إضافية ، إلى أن أتى الطبيب المناوب بعدي .

ــ طالما أنه نداء الواجب أيها الطبيب ، فقد سلمت مني هذه المرة!

ــ (مبتسما) الحمد لله على نعمة السلامة !

ــ هكذا إذا!

ــ (وكأنه تذكر أمرا) بالمناسبة يا حنين ، هل غيرت أبطال الرواية ؟! فقد لاحظت أنك جعلت فتاة هي البطلة وقد أخبرتيني آنفا أنه كان شابا!

ــ نعم ، أضفيت بعض التغييرات ، فقد أذن لي أبي في وصيته . وهذه هي المفاجأة التي أعددتها لك!

ــ إنها فعلا مفاجأة رائعة ، وما هو اسم الرواية إذن؟ أخبرتني حنان أن أباك لم يعنونها قط !

ــ سأخبرك ولكن خمن أولا .

ــ بصراحة ، لا يخطر في بالي شيء الآن . ولكن يخالجني شعورأن العنوان يحمل كلمة "أبي" ، أليس كذلك ؟

ــ (ضاحكة) أحسنت يا فارس! العنوان يحتوي حقا عليها ، فقد قررت تسمية الرواية: "أرجوك ، كن ... كأبي"!